قلق الكتابة في (ذاكرة الجسد) أحلام مستغانمي

أ.م. د. بشار إبراهيم نايف م.م. بشائر بشار ابراهيم

ملخص البحث:

تعد ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي من الروايات العربية التي اشتهرت كثيرا ونالت اهتمام القارئ العربي بشكل واسع وحصلت على جوائز عدة وترجمت الى لغات متعددة، وقد وجدنا فيها ثيمة (القلق من الكتابة) عند بطل الرواية لأسباب نفسية متعددة منها الحرمان والرجوع الى الماضي والخوف من الفشل، فجعلناها مباحث لدراستنا واعتمدنا فيها على المنهج النفسي، ووجدنا أن بطل الرواية (خالد) يعاني من حرمان كبير بسبب فشل علاقة الحب التي أقامها مع الشخصية الثانية في الرواية(حياة)، هذا الحرمان أوجد قلقا كبيرا لدى البطل من الدخول في معترك الكتابة، ينضاف إليه قلق من تسجيل الماضي وكتابته، فضلا عن خوفه من الفشل في ظهور كتاباته بالمستوى الذي لا يرضي المتلقي، وكانت جميعا أسبابا جعلت بطل الرواية قلقا من الكتابة وخائفا منها، وقد مهدنا لدراستنا بتعريفات عامة للقلق وقلق الكتابة، وعدد من آراء علماء النفس في ذلك.

Mistaghanmy's The memory of the Body
The memory of the body is one of the greatest Arabic novels which was well known vastly and won the greatest prizes and translated into so many languages .One of the themes shown is the anxiety of writing .
All these things were due to the deprivation and recalling the past and fearing to fail.khalid ,the hero,in the novel suffers from a great deprivation as result of a failed relationship in her novel' LIFE',this deprivation shows great anxiety for the hero,in addition to that it shows also the anxiety of the past and his fears of that he may not satisfy the readers'needs.
Finally,the study shows some definitions in the introduction which shows the anxiety of writing and it shows also some opinions

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد..

تعد روايات أحلام مستغانمي من الروايات التي استهوت القارئ العربي ونالت اهتمامه، كما نالت حظا كبيرا من الشهرة حتى ترجمت إلى لغات عدة، ومن الروايات التي اشتهرت بها مستغانمي رواية (ذاكرة الجسد) التي طبعت طبعتها الأولى عام ١٩٩٣، وحازت على جائزة نجيب محفوظ عام ١٩٩٨، يقول عنها الشاعر الكبير نزار قباني: هذه الرواية دوختني وأنا نادرا ما أدوخ أمام الروايات، وسبب الدوخة أن النص الذي قرأته يشبهني إلى درجة التطابق، فهو مجنون، ومتوتر، واقتحامي، ومتوحش، وإنساني، وشهواني، وخارج على القانون مثلي... الرواية قصيدة مكتوبة على كل البحور، بحر الحب وبحر الجنس، وبحر الايديولوجية، وبحر الثورة الجزائرية بمناضليها ومرتزقيها، وأبطالها وقاتليها، وملائكتها وشياطينها، وأنبيائها وسارقيها.

هذه الرواية تتحدث عن رسام يقع في غرام ابنة صديقه المناضل الجزائري الذي شاركه في ثورة التحرير الجزائرية، لكنها ورغم حبها له تتزوج من شخصية جزائرية ذات نفوذ وسلطة فينهار على اثرها بطل الرواية، وقد وجدت من ثيمات الرواية أنها تتحدث عن قلق البطل من الدخول في معترك الكتابة لأسباب سنذكرها في متن البحث الذي

جاء بعنوان(قلق الكتابة في ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي، دراسة نفسية) وانقسم البحث على مباحث ثلاثة هي، المبحث الأول(الكبت والحرمان)، الثاني(ترسبات الماضي)، الثالث(الخوف من الفشل)، مهدت له بذكر تعريفات للقلق، لا سيما تلك التي تعود لكبار علماء النفس، كما تناولت بعضا من حياة الروائية أحلام مستغانمي وكتاباتها، ومن ثم انتهيت بخاتمة ذكرت فيها أهم ما توصل إليه البحث، واعتمدت المنهج النفسي مستشهدا بآراء فرويد ويونج وإدلر، وعلماء آخرين.

وختاما نقول إنني استمتعنا كثيرا بقراءة الرواية ودراستها، كما أننا اخترنا موضوعا نجده يمتاز بالجدة والابتكار، ندعو الله أن يوفقنا فيه ويمن علينا بفضله إنه نعم المولى ونعم النصير.

التمهيد:

أحلام مستغانمي كاتبة جزائرية ولدت في تونس في الثالث عشر من نيسان/ ١٩٥٣، شاعرة وباحثة وروائية، أقامت عدة سنوات في فرنسا، ثم أقامت في لبنان مسقط رأس زوجها مستغانمي، بدأت كشاعرة بديوانين(على مرفأ الأيام، عام/ ١٩٧٢، والكتابة في لحظة عري، سنة ١٩٧٦، ولها دراسة بعنوان (المرأة في الأدب الجزائري المعاصر سنة ١٩٨١)، ثم ما لبثت أن تحولت إلى فن الرواية، فأصدرت روايتين على التوالي هما: (ذاكرة الجسد، سنة ١٩٩٣، وفوضى الحواس سنة ١٩٩٨)[١]، تخرجت من كلية الآداب/ جامعة الجزائرعام ١٩٧١، حصلت على شهادة الدكتوراه في جامعة السربون في فرنسا،[٢] في تأثرت كثيرا بشخصية أبيها محمد الشريف وتاريخه النضاليّ، الذي كان صورة واضحة لتاريخ الجزائر، هذا الأب الذي دخل السجون الفرنسية وفصل من عمله بالبلدية، كان من هواة الأدب الفرنسي. وقارئًا ذا ميول كلاسيكيّة، كما كانت له القدرة على سرد الكثير من القصص عن مدينته الأصليّة ﴿قسنطينة﴾،[٣] هكذا نشأت أحلام مستغانمي مقرّبة كثيرًا من أبيها وخالها عزّ الدين الضابط في جيش التحرير الذي كان كأخيها

الأكبر، وعبر هاتين الشخصيتين، عاشت كلّ المؤثّرات التي تطرأ على الساحة السياسيّة. مما جعل كلّ مؤلفاتها تحمل شيئًا عن والدها. قدّمت برنامجًا يوميًا في الإذاعة الجزائريّة يبثّ في ساعة متأخرّة من المساء تحت عنوان "همسات". وقد لاقت تلك "الوشوشات" الشعريّة نجاحًا كبيرًا تجاوز الحدود الجزائرية إلى دول المغرب العربي. وساهمت في ميلاد اسم أحلام مستغانمي الشعريّ، الذي وجد له سندًا في صوتها الإذاعي المميّز وفي مقالات وقصائد كانت تنشرها أحلام في الصحافة الجزائرية. لم تتوقف أحلام عن كتابة الرواية فكتبت روايتين أخريتين (عابر سرير، الأسود يليق بك)[٤].

قلق الكتابة

يرى التحليل النفسي أن الإبداع ليس إلا حالة خاصة قابلة للتحليل، لأن كل عمل فني ينتج عن سبب نفسي، يعد هو المنهج الذي يربط بين العمل الأدبي ونفسية صاحبه ودلالة هذا العمل على شخصية صاحبه[٥]. وقد رسخ للمنهج النفسي في النقد الأدبي "فرويد" وتلامذته "يونج" و"أدلر"، إذ يركز فرويد على الدوافع الجنسية ويرى أن الفن والإبداع مجرد تعويض مقنع عن الكبت الجنسي،[٦] ويذهب يونغ إلى أن شخصية الفنان عامة بدائية ضاربة في القدم، وأنها نتاج ووعاء يحتوي على تاريخ أسلافه، وتشكلت بفعل خبرات متراكمة ماضية في(اللاشعور الجمعي) [٧]. فيما ناقض أدلر منهج فرويد ويونغ، ورأى أن الشعر والفن مبعثه التعويض عن النقص وحب الظهور والسيطرة، فالفنان كائن يشعر بنقائصه ويشعر بأهدافه التي يحاول بلوغها، ومشاعر النقص أو الإحساس بعدم الكمال هي التي تدفعه للتغلب على نقصه،[٨] ومن نتاج تلك المشاعر (القلق)، فهو كما قال علماء النفس عنه ينبعث من أسباب عدة منها الكبت والحرمان، ومنها ترسبات الماضي، ومنها الخوف من الفشل.

القلق لغة واصطلاحا:

اتفق أصحاب المعاجم على أن معنى القلق لغة هو "الإنزعاج، يقال

بات قلقا، وأقلقه غيره، والقلق لا يستقر في مكان واحد"[٩]، وقد لا يختلف معنى القلق لغة عن المعنى اصطلاحا، فهو حالة وجدانية نحسها ونشعر بها باتجاه موقف من مواقف الحياة، تظهر سماتها في التغييرات الطارئة التي تحدث للفرد، ويترتب عليها اتخاذ اجراء سريع يتناسب وحجم المؤثر الذي أصابه، فالقلق حالة نفسية وفيسيولوجية تتركب من تظافر عناصر إدراكية وجسدية وسلوكية لخلق شعور غير سار يرتبط عادة بعدم الارتياح والخوف أو التردد، وغالبا ما يكون القلق مصحوبا بسلوكيات تعكس حالة من التوتر وعدم الارتياح،[١٠]، ولو عدنا إلى ما قاله فرويد بأنه: "أولا شيء نشعر به، وإنا نسميه حالة وجدانية بالرغم من أننا نجهل أيضا ما هو الوجدان، والقلق من حيث هو شعور وجداني، حالة مكدرة جدا، ولكن ليس الكدر هو كل كيفية القلق، وليس كل كدر يمكن أن يسمى قلقا". [١١] لوجدنا أن القلق حالة نفسية تأتي نتاجا لسبب ما أقلق الذات وكدرها، وجعلها تعيش حالة من عدم الاستقرار النفسي، فهو يظهر كرد فعل لحالة(خطر)، ويعود الى الظهور كلما حدثت حالة خطر من هذا النوع.[١٢]، ووظيفة هذا القلق كما يقول فرويد أنه إشارة لتجنب حالة الخطر تلك.[١٣] وبما أنه حالة وجدانية فلا يمكن بالطبع، أن يشعر به إلا الأنا فقط.[١٤]، و(الأنا) إذا نجح في وقاية نفسه من دافع غريزي خطير عن طريق عملية الكبت مثلا، فإنه قد قام بالتأكيد بكف ذلك الجزء الخاص من الـ (هو) الذي يعنيه الأمر وألحق به الضرر.[١٥]

و" تكمن حالة الخطر في أنها حالة عجز يدركها الفرد، ويتذكرها، ويتوقعها، والقلق هو الاستجابة الأصلية للعجز في حالة الصدمة، وهو يتكرر فيما بعد في حالة الخطر كإشارة لطلب النجدة".[١٦]، ويربط فرويد الكف (linhibition) بالقلق، وعرفه بوصفه تحديدا لوظائف الأنا (le moi) الذي ينتج كبتا: يصرف الأنا النظر عن وظائف توجد تحت تصرفه، حتى لا يكون مكرها

على الدخول في كبت جديد، وبغية تجنب صراع مع الهو (le a).[١٧]

ويرى دافيد هارولينددفنك أن "القلق حالة من عدم الاتزان المستمرة تنشأ بسبب وجود صراع داخلي فيما بين الاستجابات الانفعالية"[١٨]، لذا "فهو شعور غامض غير سار مملوء بالتوقع، والخوف والتوتر، مصحوب عادة ببعض الاحساسات الجسمية تأتي على شكل نوبات متكررة من نفس الفرد"[١٩]، فيما جعل ستيهان مكونات أساسية للقلق لخصها بالآتي:[٢٠]

١ ـ قصور في مجالات المهارات الاجتماعية.

٢ ـ اتجاهات سلبية غير سوية للشخص تجاه نفسه.

٣ ـ مركب من الخوف الاجتماعي والكف المصبوغ بدرجة عالية، من المظاهر الانتقالية والفسيولوجية.

قلق الكتابة:

كتب الشيء يكتبه كتبا وكتابا وكتابة، وكتبه خطه[٢١]، والكتابة: الاسم لأنها صناعة كالنجارة والعطارة[٢٢]، والكتابة، تصوير الألفاظ بحروف هجائية.[٢٣] والكتابة، هي وسيلة تسجيل اللغة وتجسيدها للتواصل بين (الأنا) والـ (الآخر)، بين الانسان والمجتمع، وفق قواعد محددة ومعايير متفق عليها، فهي مجموعة من الطقوس، وهي الاحتفال الواضح أو الخفي الذي عن طريقه، بغض النظر عما نريد قوله، وعن كيفية التعبير يعلن عن الحدث.[٢٤]، ويرى عدد من الكتاب أن هذه القواعد والطقوس هي ما تصعب عليه أن يذكر ما يريد ذكره ويخاف أن تعجز لغته أمام إيصال الفكرة التي يريد إيصالها، إلا ذا حاول أن يكسر هذه القيود في مغامرة قد تحسب له أو عليه، "فالكتابة هي الولوج لمعبد يفرض علينا، بغض النظر عن اللغة التي هي ملكنا بحق الإرث وبحتمية عضوية، قدرا من العادات، وإيمانا ضمنيا، وإشاعة تحول مسبقا كل ما يمكن أن نقوله، وتحمله بنوايا تكبر فعالياتها بقدر ما يعترف بها، فالكتابة هي أولا رغبة في هدم المعبد قبل بنائه، هي على الأقل التساؤل قبل تخطي العقبة، حول القيود

والأعباء التي يفرضها هذا المكان، حول الخطأ الأصلي الذي سوف يكونه قرارك أغلاقه على نفسك،[٢٥] وهي "القدرة على التنفيس عن ما بداخلك من مخزون ثقافي واجتماعي متراكم، عبر مرحلة زمنية هي في الأساس حياتك بما شملته من شريط الذكريات، وما جمعته من رصيد معرفي عبر الزمن".[٢٦]

وفي المقابل ثمة متعة في الكتابة، بيد أن القلق الذي تحدثه لدى العديد من الكتاب يتخذ أشكالا أكثر تنوعا، فتقودهم إلى مضاعفة الطقوس والممارسات الإستحواذية، المرصودة لإرجاء لحظة الكتابة[٢٧]، وأشياء أخرى إضافية معقدة تدور أحداثها على مسرح الكتابة، صراع بين غريزة الحياة وغريزة الموت. إن أوامر الأنا الأعلى (sur moi) والمثال الأعلى الأشد صرامة تعمل على شل الكتابة أو إبطال تحققها، إلى أن تجعل منها مكان صراع.[٢٨]، فالكتابة تعكس الجانب النفسي للكاتب، ولكن ربما لا تظهر تلك الجزئية للجميع، انها كالكتابة بالقلم السحري تحتاج لأدوات معينه للكشف عن الخطوط السحرية والكشف عن المكنون الذي يحمل الجوانب الخفية من حياة الكاتب[٢٩]، ومن الضروري على كل منا أن يحاول الانفلات من هذا العالم، فهو إغراء لنا جميعا بتخريبه لإعادة بنائه نقيا من كل استعمال سابق، أو أحسن من ذلك بترك المكان فارغا، أن نكتب بدون الكتابة.[٣٠]

يستعرض بيريك (Perec) كل استراتيجيات الكتابة، البناءات التيهية، وسواس التعداد، [وسواس] التسمية الشامل، التصنيف، القائمة، كل تلك الأساليب التي يموضعها الكاتب بغية تجنب قول ما سوف لن يعمل، إنها أيضا صيغة لا قول، أو قول لا شيء، كما أن مراكمة الذكريات الأكثر هزئية (أتذكر) هي صيغة للحكم على الجوهري بالنسيان، وحتى بالتلاشي، إن استراتيجيات الكتابة بذات تعقيد [استراتيجيات] حياة طريقة استعمال، أو[استراتيجيات] التلاشي تعد هي أيضا مكائد يتم رصدها لإبطال القلق، لدفن الذكريات في بناءات خرسانية، لتقنيع الرغبة في الكتابة

وراء كتابة قوقعة.[٣١]

وعبر سومبران (semprun) بروعة عن ذلك: كان يلزمني أن أختار بين الكتابة والحياة، فاخترت هذه الأخيرة. اخترت علاجا طويلا للحبسة، لفقدان الذاكرة (amnsie) الطوعي، من أجل البقاء حيا.[٣٢]

وحين تكون الكتابة مقارنة بالحياة تصبح "كل كتابة قلقة هي صوت مبشر بالارتياب والشك ضدًا على السكينة والاطمئنان الزائف للمكرس بغاية إعادة النظر في المعنى واللغة والذات والحقيقة. القلق بالنتيجة مصدر تجديد السؤال بهدف تجنب استنساخ ما قيل"[٣٣]، فيا ترى هل نكرر ذواتنا بكتابة عالم تم تكلمه؟ وبأي معنى يمكن فهم الكتابة كفعل صدامي، هل بمعنى ضرورة الدخول في صراع مع ما كتب أم الاكتفاء بطرح السؤال والتشكيك فيما أنجز؟.[٣٤]

إن مكمن القلق من الكتابة أن لها قنوات متعالية تحاول جهدها نقل ما تحويه صدور أصحابها إلى نصوص تنفتح طواعية أو كرها أمام القارئ الذي تبحث عنه أو يبحث هو عنها، ونجد في رواية ذاكرة الجسد ذكريات يحمل صاحبها في متنها شعورا يرفض تواجد الحاضر ويرتدي كما من التراكم الماضوي ومعه أسباب النفور والاغتراب عن الآخرين، قد يكون أحدها الخوف من المستقبل أو هو الشعور بالنقص، وربما كان الشعور بفارق الزمن بينه وبين من يحب، وقد تكون آلام البلد الذي ينتمي إليه أحد أسبابها لاسيما حين يشعر أنه في بلد غير بلده الذي دافع عنه وخسر أعز ما يملك من أجله، أو قد تكون كل هذه الأسباب مجتمعة، وهو الذي شارك مع الثوار الجزائريين لطرد المحتل الفرنسي وعانى من جراء ذلك ما عاناه، وخسر الكثير من أصدقائه، وخسر معهم ذراعه التي بترت نتيجة المعارك التي خاضها، ولأنه عاد بعد فترة طويلة من الزمن ليلتقي بالفتاة التي أحبها كما يحب وطنه، وجدها فتاة غير تلك التي تركها وهي صغيرة، ومع أنها بادلته الحب نجدها تتزوج من رجل له نفوذ وسلطة في البلد، أراد أن يكتب، لكنه شعر بالخوف من

الكتابة وترسخ معه ذلك الشعور منذ اليوم الأول الذي خيره فيه طبيبه المعالج، بين أن يكتب أو يرسم فاختار الرسم مع أنه كان يحب الكتابة أكثر، وكان لا يجيد قواعد الرسم. "عندما سألني ذات مرة وهو يكتشف ثقافتي، هل كنت أحب الكتابة أو الرسم، تمسكت بسؤاله وكأنني أتمسك بقشة قد تنقذني من الغرق، وأدركت فورا الوصفة الطبية التي كان يعدها لي.. وكان يمكن أن أجيبه ذلك اليوم بتلقائية.. إنني أحب الكتابة، وأنها الأقرب إلى نفسي، مادمت لم أفعل شيئا طوال حياتي سوى القراءة التي تؤدي تلقائيا إلى الكتابة.. كان يمكن أن أجيبه كذلك، فقد تنبأ لي أساتذتي دائما بمستقبل ناجح.. في الأدب الفرنسي.. ولهذا ربما أجبته دون تفكير، أو ربما بموقف اكتشفت فيما بعد أنه كان جاهزا في أعماقي: أفضل الرسم"[٣٥].

لقد كانت أسئلته المتكررة هاجسا يبعده عن الكتابة، وقلقا فيما سيكتبه، فالكتابة هي حياة ثانية، تعيد نفسها لتفرغ مخزونها من الذاكرة، وحال تسجيل الذاكرة تصبح عدما وتفقد دفقها الانساني، وحين يجد البطل نفسه مرغما في قصة لا يريدها، عليه أن يبحث عن الكلمات التي تناسب قصته، وتناسب من يقرؤها، يقول خالد بطل الرواية "لا بد أن أعثر أخيرا على الكلمات التي سأنكتب بها، فمن حقي أن أختار اليوم كيف أنكتب، أنا الذي لم أختر تلك القصة"[٣٦]. وهو يرى أن "الروايات الفاشلة، ليست سوى جرائم فاشلة، لابد أن تسحب من أصحابها رخصة حمل القلم، بحجة أنهم لا يحسنون استعمال الكلمات، وقد يقتلون خطأ بها أي أحد.. بمن في ذلك أنفسهم، بعدما يكونون قد قتلوا القراء..ضجرا"[٣٧]

المبحث الأول
الكبت والحرمان

يعد الكبت والحرمان سببا رئيسا في تشكيل حالة القلق عند الانسان، وبما أن الحرمان لا يحمل شكلا واحدا، ولا يرتسم في صورة واحدة، لذا نجد أن قلق الكتابة لا يتشكل عند بطل رواية ذاكرة الجسد بسبب

الحرمان الجنسي الذي احترف ممارسته مع فتيات كثيرات، وانما لفشله في حبه الحقيقي لـ (حياة) الفتاة التي شاركته بطولة الرواية، وتعرف عليها في إحدى معارضه، ويشاء القدر أن تكون هذه الفتاة هي ابنة صديقه المناضل الجزائري الذي استشهد دفاعا عن بلده، كانت حينها صغيرة، والآن كبرت وأصبحت فتاة ناضجة سرعان ما خفق لها قلبه وأحبها بكل ما يملك من مشاعر،«الحب هو ما حدث بيننا، والأدب هو كل ما لم يحدث»، هنيئا للأدب على فجيعتنا، إذن فما أكبر مساحة ما لم يحدث، إنها تصلح اليوم لأكثر من كتاب»[٣٨]، هذا الحب شكل لدى البطل ثنائية كان يعيشها منذ أمد بعيد(الحبيبة ـــ الوطن) بعدما أصبحت (حياة تعني قسنطينة)، حتى أنه راح يجسد في رسوماته صورة (حياة) في مدينته قسنطينة وجسورها، «ها هي ذي قسنطينة.. وها هو كل شيء أنت.. وها أنت تدخلين إلي، من النافذة نفسها التي دخلت منها منذ سنوات، مع صوت المآذن نفسه، وصوت الباعة، وخطى النساء الملتحفات بالسواد، بالأغاني القادمة من مذياع لا يتعب»[٣٩]، ويعترف على نفسه أنه قد جمع بين عشقين مدمرين، في لحظات من اللاوعي، «كنت كعالم فيزيائي مجنون، يريد أن يجمعه بين صيغتين متفجرتين في الوقت نفسه: أنت.. وقسنطينة، صيغتين صنعتهما بنفسي في نوبة شوق وعشق وجنون، قست قدرتهما التدميرية كلا على انفراد، وأردت أن أجربهما معا كما تجرب قنبلة ذرية في صحراء»[٤٠].

لقد عانى من أجلهما الكثير من المآسي والمتاعب، وهو الذي قدم لهما الكثير وضحى من أجلهما، ليجد نفسه أمام حب فاشل لم يكن يستحق ما قدمه له، واستيقظ على فقدان الاثنين معا، فـ(حياة) صارت ملكا لشخص آخر صاحب صفقات مشبوهة، و(قسنطينة) أصبحت ملكا للانتهازيين والسماسرة والوصوليين، فما تراه يفعل بالقلم وكيف يتعامل معه؟ «ها هو ذا القلم إذن.. الأكثر بوحا والأكثر جرحا.. تراني أعي في هذه اللحظة فقط، أنني استبدلت

بفرشاتي سكينا، وأن الكتابة إليك قاتلة..كحبك[٤١]، لقد عاب على حبيبته أنها ذكرته في مجلة بصفحتين، وكأنها تلخص مساحات شاسعة من الذكريات بهاتين الصفحتين أي موعد عجيب كان موعدنا ذلك اليوم! كيف لم أتوقع بعد تلك السنوات أن تحجزي لي موعدا على ورق بين صفحتين، في مجلة لا أقرؤها عادة[٤٢] فهل كانت تلك الصفحتان تكفيان للكتابة عن حبيب أعطى الكثير لحبيبته، شعر أن تلك الصفحتين ما كانتا الا سبيلا لقتله بهما، وحين أراد أن ينتقم قرر الانتقام بالاسلوب ذاته، ففي النهاية، ليست الروايات سوى رسائل وبطاقات، نكتبها خارج المناسبات المعلنة، لنعلن نشرتنا النفسية، لمن يهمهم أمرنا[٤٣]، كان يعتقد أن الرواية طريقة الكاتب في أن يعيش ثانية قصة أحبها..وطريقته في منح الخلود لمن أحب[٤٤]. لكنه وجد غير ذلك فالمرأة التي أحبها لم تكن إلا امرأة من ورق، تحب وتكره على ورق، وتهجر وتعود على ورق، وتقتل وتحيي بجرة قلم[٤٥].

والكتابة عن ابطال في رواية لا تعني الا قتلهم، إننا نكتب الروايات لنقتل الأبطال لا غير، وننتهي من الأشخاص الذين أصبح وجودهم عبئا على حياتنا، فكلما كتبنا عنهم فرغنا منهم..[٤٦]، هكذا كان بطل الرواية يرى الكتابة وسيلة لقتل الابطال، ومحوهم من الذاكرة، لذا اراد ان يبتعد عنها ويتجه نحو الرسم، كما أنه كان قلقا منها لأنه وجدها وسيلة للانتقام، انتقام سيفقده حبيبته إلى الأبد، مع أنه في لحظات الغضب أراد ذلك، أراد أن يكتب كتابا عن حبيبته ليجردها من كل معاني الخلود، كان لا بد أن أكتب هذا الكتاب لأقتلك به أيضا[٤٧]، لكنه يحجم عن ذلك ويخاف أن تقضي تلك الكتابة على الصورة الجميلة لحبيبته، ولكن .. ما الذي سيبقى وقتها، لو أخرجتك من ذاكرتنا المشتركة وحولتك إلى فتاة عادية؟[٤٨]. وماذا لو كانت الروايات مسدسات محشوة بالكلمات القاتلة لا غير؟[٤٩]، أراد الكتابة عندما ذاق مرارة القهوة التي ذكرته بمرارة الحرمان وصعوبته، حينها

فقط أراد التمرد على قلقه واختراق هواجسه «فكرت في غرابة هذا الطعم العذب للقهوة المرة، ولحظتها فقط، شعرت أنني قادر على الكتابة عنك، فأشعلت سيجارة عصبية، ورحت أطارد دخان الكلمات التي أحرقتني منذ سنوات، دون أن أطفئ حرائقها مرة فوق صفحة...»[٥٠]، مؤكدا ما قاله سابقا حين شعر أنه يقترب من الجملة الأولى في كتابه رغم أنها كانت عصية عليه، إلا أن مرارة القهوة هي من جعلته يمسك بجلباب البداية «ارتشفت قهوتك المرَّة، بمتعة مشبوهة هذه المرَّة، شعرت أنني على وشك أن أعثر على جملة أولى، أبدأ بها هذا الكتاب»[٥١].

لم تكن رغبته في الكتابة على الرغم من خوفه منها وقلقه في اقتحام ميدانها إلا في مرتين، الأولى حين وجد منافسا لحبه وهذا المنافس هو شاعر يجيد التلاعب بالكلمات، أراد أن يثبت لها أنه قادر على الكتابة مثل زياد صديقه الشاعر الذي دخل معه دوامة الشك والغيرة، «كيف يمكن أن أفك صلة الكلمة التي كانت تجمعكما بتواطؤ، وأمنع كاتبة أن تحب شاعرا تحفظ أشعاره عن ظهر قلب؟»[٥٢]، أراد أن يكتب لتقرأ له مثل ما قرأت لزياد فهل يمكن لكاتبة أن تقاوم الكلمات؟ كنت أريد أن أطوقك بالحروف، أن أستعيدك بها.. أن أدخل معكما حلقة الكلمات المغلقة في وجهي بتهمة الرسم فقط»[٥٣]، و«معك رحت اكتشف العربية من جديد، أتعلم التحايل على هيبتها، استسلم لإغرائها السري، لتعاريجها، لإيحاءاتها.

رحت أنحاز للحروف التي تشبهك.. لتاء الأنوثة.. لحاء الحرقة.. لهاء النشوة.. لألف الكبرياء.. للنقاط المبعثرة على جسدها خال أسمر..هل اللغة أنثى أيضا؟ امرأة ننحاز إليها دون غيرها، نتعلم البكاء والضحك.. والحب على طريقتها، وعندما تهجرنا نشعر بالبرد واليتم دونها؟»[٥٤]، كان قلقا من كلماته، خائفا من فشله لذا أراد أن يواجه قدرتها على الكتابة بقوة حبه لها، وأن يجيبها على سؤالها عن إغراء المطر بالكتابة حين قالت له:

"إن المطر يغريني بالكتابة.. وأنت؟
وكنت على وشك أن أجيبك ((وأنا يغريني بالحب)).»[٥٥]

والمرة الثانية حينما غادرت (حياة) حياته، وتزوجت من شخص آخر لا يفقه شيئا من قانون الحب والكلمات، شعر وقتها أنها خانته كما خانته قسنطينة من قبل حين سلمت نفسها للسراق واصحاب النفوذ، أراد أن يقتلها بالكتابة عنها ليمحوها من ذاكرته، كما كانت تفعل هي،"نحن نكتب الروايات لنقتل الأشخاص الذين أصبح وجودهم عبئا علينا... نحن نكتب لننتهي منهم»[٥٦]، لكنه بدلا عن ذلك حاول ترك الكتابة لأنه كان خائفا من الانتقام، كما كان خائفا من النهاية التي سيكون فيها حبه لحياة فارغا من المضمون وقد أصبح مجرد قصة في كتاب، وقد قال لحبيبته "كنت تفرغين من الأشياء كلما كتبت عنها، وكأنك تقتلينها بالكلمات، وكنت كلما رسمت امتلأت بها أكثر.»[٥٧]، إلا أن رغبته القوية في الانتقام جعلته يكتب ليقتل حبيبته فقط "ستقولين: لماذا كتبت لي هذا الكتاب إذن؟ وسأجيبك لأنني أستعير طقوسك في القتل فقط، وأنني قررت أن أدفنك في كتاب لا غير»[٥٨].

وفي الحالتين كان البطل يخشى الكتابة ويخاف منها ويرجع ذلك من خوفه أن لا يعطيها حقها ولا يكون بمستوى التحدي فهو أمام شاعر وكاتبة تمرسا على الكتابة، وهو يخاف ان لا تسعفه الكلمات في شرحه لحبه لها، "من أين سآتي بالكلمات التي ستشرح لها حزني؟»[٥٩]

وأمام نقاد سيواجهونه بنقدهم اللاذع "سيقول نقاد يمارسون النقد تعويضا عن أشياء أخرى، إن هذا الكتاب ليس رواية، وإنما هذيان رجل لا علم له بمقاييس الأدب»[٦٠]، كما أنه كان يخاف من كتابته أن يركن كل من أراد أن يحييها في رفوف الذاكرة والنسيان."

المبحث الثاني

الذاكرة وترسبات الماضي

قد يكون الماضي مخيفا ومؤلما يحاول الإنسان نسيانه، ولا يريد تذكره أو الكتابة عنه، لاسيما إذا وجد فيه خذلانا كبيرا أو تغيرا في

المفاهيم التي كان يحملها أو يسعى لتحقيقها، حينها يشعر الإنسان بأن تضحياته التي قدمها ذهبت هباء، وأن ذاك الماضي الذي قدم فيه كل ما يستطيع تقديمه، لا يستحق أصحابه ذاك العطاء وتلك التضحية، فتبحث الذات عن مهرب ينقذها من ذلك الماضي، مما يجعلها تعيش حياة قلقة، لا تحسن التعامل معه وسط حلول ضيقة ووسائل تكاد تكون معدومة الا ما ندر، ومن تلك الوسائل الكتابة، غير أن الكتابة توقع الكاتب في حيرة أكبر إذ تتساوى عنده ثنائية التذكر والنسيان، فبطل رواية(ذاكرة الجسد) يعيش صراعا داخليا بين أن يكتب أو لا يكتب، وهل الكتابة ستنسيه معاناته أم ستذكره بها دائما؟، كما أنه لا يعلم إن كان يريد النسيان أو لا يريد ذلك؟، وهل هناك ما يستحق الكتابة؟، فهو يرى أن الكتابة محطة للكاتب يجتاز بها الذاكرة إلى النسيان، لذا نجده يقول عن كتابة ذكرياته ﴿كلمات فقط، اجتاز بها الصمت إلى الكلام، والذاكرة إلى النسيان، ولكن..﴾[٦١]، وهنا تبرز الرغبة الحقيقة لبطل الرواية في التذكر، فهو لا يريد أن ينسى، ويرى أن الكتابة نتيجتها الحتمية النسيان، ﴿في الحقيقة كل رواية ناجحة، هي جريمة نرتكبها تجاه ذاكرة ما، وربما تجاه شخص ما، نقتله على مرأى الجميع بكاتم صوت، ووحده يدري أن تلك الكلمة الرصاصة كانت موجهة إليه﴾[٦٢].

ولكي يجسد قلقه في الكتابة يتساءل:

﴿هل الورق مطفأة للذاكرة؟

نترك فوقه كل مرة رماد سيجارة الحنين الأخيرة، وبقايا الخيبة الأخيرة﴾[٦٣]، ومن الواضح أن الأسئلة حين تنبعث من جوف الذات إنما تبحث عن تفسير ينقذها من حالة الإرباك والحيرة والقلق الذي هو فيها، بين رغبة في الكتابة، يعري فيها البطل ذاكرته، وبين خوفه من أن تطفئ الكتابة تلك الذكريات وتجعلها كلمات مجردة من معاني الحياة ﴿صفحات أخرى فقط، ثم أعري أمامك ذاكرتي الأخرى، صفحات أخرى لابد منها، قبل أن أملأك غرورا.. وشهوة وندما وجنونا، فالكتب كوجبات الحب،

لابد لها من مقدمات أيضا.. وإن كنت أعترف أن (المقدمات) ليست مشكلتي الآن بقدر ما يربكني البحث عن منطلق لهذه القصة[٦٤].

فيا ترى ما هو المنطلق الذي سينطلق فيه خالد للكتابة عن تاريخه الذي انقسمت مشاهده بين(حياة) و(قسنطينة)وهو يدرك أن وحده تاريخ الشهداء قابل للكتابة، وما تلاه تاريخ آخر يصادره الأحياء، وسيكتبه جيل لم يعرف الحقيقة ولكنه سيستنتجها تلقائيا فهناك علامات لا تخطئ[٦٥].

ولكي يجد المنطلق الذي سينطلق منه عليه أن يستذكر تلك السنوات التي انقضت من عمره، ولم يجد فيها غير التعاسة أتصفح تعاستنا بعد كل هذه الأعوام، فيعلق الوطن حبرا أسود بيدي..[٦٦]، فيا لها من ذكريات لا تصطبغ الا باللون الأسود، واللون الأسود يحمل دلالتين، الأولى كثرة الكتابة مما يجعل الحبر يعلق باليد، أو كثرة الحزن، وهو أقرب إلى ما يقصده البطل، بقرينة (التعاسة) التي ذكرها في البداية، هذه التعاسة التي تجعل الحبر يعلق باليد ولا يغادرها إلى صفحات الورق البيضاء، الأمر الذي يجعل البطل يفضل صمت الورق على كلامه فيقول: أفضل تواطؤ الورق، وكبرياء صمته[٦٧]، وهو الذي كان يعتقد أنه لن يكتب حتى يشفى من ذاكرته بما فيها من أحزان وآلام، لكنه وجد أن الكتابة لا تأتي الا من جراء المعاناة والذكريات الحزينة العالقة في الذهن، قبل اليوم كنت اعتقد أننا لا يمكن أن نكتب عن حياتنا إلا عندما نشفى منها.. نحن لا نشفى من ذاكرتنا، ولهذا نحن نكتب، ولهذا نحن نرسم، ولهذا يموت بعضنا أيضا[٦٨]، لذا كان خالد يخاف من الكتابة لحبيبته، قلقا منها لأنها ستذكره بالماضي، أو التحرش به، ولماذا لم يكتب لها؟

قلت:

ربما لأنه كان يكره التحرش بالماضي[٦٩]

هذا الماضي الذي بات طعمه مرا مليئا بالحسرة وموشحا بالخيبة بعدما كان حلما جميلا، كيف تقدر الذاكرة على جعله كلاما مكتوبا على صفحات الورق.

في مواسم الخيبة تصبح الذاكرة مشروبا مرا يبتلع دفعة واحدة، بعدما كان حلما يحتسى على مهل"[٧٠]، المرأة ذاتها التي كانت دافعا لخالد لأن يكتب، صارت مشروبا مرا بمرارة خيبة السنين التي قضاها، يبتلعه دفعة واحدة، فهل يقدر خالد على كتابة ذكرياته؟ إذا أراد ذلك فعليه أن يكتب لأجل الكتابة وحدها وليس لشيء آخر" إن المهم في كل ما نكتبه.. هو ما نكتبه لا غير، فوحدها الكتابة هي الأدب، وهي التي ستبقى، وأما الذين كتبنا عنهم فهم حادثة سير.. أناس توقفنا أمامهم ذات يوم لسبب أو لآخر.. ثم واصلنا الطرق معهم أو بدونهم"[٧١]، فهل سينجح خالد في اتخاذ الكتابة وسيلة مجردة من الذكريات؟، مع أنه سيمر بها حتما، شاء أم أبى.

لكن خالد الذي حاول أن يتحايل على الذاكرة وجد نفسه يرتكب حماقة كبرى، اعترف بها مرغما،"وكنت أقترف إحدى حماقاتي الكبرى.. لم أكن أعرف وقتها أنني أختار عنوانا لذاكرتي مجاورا تماما لعنوان بيتي، وأنني سأمنح الذكريات حق مطاردتي"[٧٢]، وهذا التحايل قد حجم من ذاكرته، وأدرك أن ما قدمه لها لم يكن سوى عظمة صغيرة أمام كم كبير من الموائد التي يحصل عليها كتاب آخرون احترفوا مهنة كتابة الذاكرة، "نتحايل على الذاكرة، نرمي لها عظمة تتلهى بها، بينما تنصب الموائد للآخرين"[٧٣]، وأن ذاكرته لم تعد تعني أحدا غيره، وليس لحملها ثقل يذكر الا عنده،"وحدها الذاكرة أصبحت أثقل حملا، ولكن من سيحاسبنا على ذاكرة نحملها بمفردنا؟"[٧٤]، فهل سيعطي خالد ذاكرته حقها في الظهور أو الكتمان، إذا ما كتب عنها، أو تركها تعبث بماضيه ومستقبله، بكل ما فيهما من ألم وخيبة؟، وهل كان ما يريده حقا أن يكون وفيا لها؟ أسئلة كثيرة كان لا يجد لها بطل الرواية من أجوبة، وهي بالتأكيد حالة قلق تشكلت من ترسبات الماضي وأنين الذاكرة " تراني كنت أريد أن أكون وفيا لذاكرتنا المشتركة، أم فقط كنت أريد أن أعوض بذلك عن عقدتي

تجاه نجمة، الرواية التي لن أكتبها، والتي كنت أشعر أنها بطريقة أو أخرى أنها قصتي أيضا، بأحلامي وخيباتي"[٧٥].

هكذا قرر البطل أن يحتفظ بذاكرته لنفسه فقط يتوسدها حين ينام ويسكنها كما يسكن بيته "ها أنا أسكن ذاكرتي وأنا أسكن هذا البيت، فكيف ينام من يتوسد ذاكرته؟"، وهو يعترف أن وطنا خاض معاركه على جبهتين(حياة، وقسنطينة)، يقتل بعدما ترك ذاكرته تعري نفسها أمام حياة لتتسسل منها، ولم يكن يتصور أن تلك الأنوثة الرقيقة تحمل وحشا محتالا يتلاعب بالذاكرة وينسف كل شيء فيها.

" قتلت وطنا بأكمله داخلي، تسللت حتى دهاليز ذاكرتي، نسفت كل شيء بعود ثقاب واحد فقط..

من علمك اللعب بشظايا الذاكرة؟".[٧٦]

لقد كانت الذاكرة المشحونة بالألم والخيبة والحسرة سببا في حيرة البطل وقلقه في أن يكتب مذكراته أو يتركها ترسب في الذاكرة وهو يبحث عن الانتقام من حياة التي خانته، ويعود ذلك لأسباب منها: الأول : أن كفة المواجهة الكتابية لا تميل لصالحه، فحياة كاتبة محترفة امتهنت الكتابة منذ أمد بعيد بينما امتهن هو الرسم، وهي بلا شك تجيد المراوغة وتزييف الحقائق والتحايل على الماضي، بينما هو ما زال في بداية محاولاته للكتابة.

الثاني: كان يخشى كتابة ذاكرته لكي لا تصبح مجرد قصة أو كتاب عن زمن مضى افتقد بريقه، بعدما نزع عنه غموض الكتمان وجعله عرضة للقراءة أمام الجميع، مما يجردها من قيمتها.

الثالث: كان يخشى أن تفشل كتاباته في استيعاب ذاكرته.

لذا نجده يقرر صراحة التراجع عن حربه التي كان سيخسرها حتما ويقول: "على من أعلن الحرب ولا شيء حولي سوى الحدود الإقليمية للذاكرة؟"[٧٧]

المبحث الثالث

الخوف من الفشل

يعد الخوف من الفشل أحد أسباب القلق من الكتابة، ومنطلق ذلك

يكمن في أن هناك لغة متعالية للكتابة على الكاتب أن يجيد التعامل معها لتنال إعجاب المتلقين لاسيما النقاد منهم، ولهذه اللغة قوانينها وآلياتها التي تعمل عليها، الأمر الذي أوجد عند البعض حالة من التمرد عليها لكسب مزيدا من الحرية في إيصال الفكرة، عبر تجسيد العاطفة بكل شحناتها ودفقها الحضوري دون قيود تحجمها، وهذا التمرد قد لا يجد أذانا صاغيا من قبل النقاد مما يخلق فجوة بين الكاتب والناقد، وهذه الفجوة تزيد من حالة القلق التي تصاحب الكاتب عند محاولته الكتابة في موضوع ما.

لا شك أن سؤال الكتابة ينهض من بؤرة التوتر بين الذات والواقع حيث الذات دائمة القلق والرغبة في اكتشاف المجهول وتجاوز المعتاد، والكاتب القلق يعيش مخاضاً عسيراً مصحوباً بالآلام والآمال قبل ولادة نص مختلف يشعره بالأمان... فلا وجود لكاتب قلق دون أثر متمرد على التشابه»[٧٨].

والبطل في رواية ذاكرة الجسد هو الآخر يريد التمرد على قواعد الكتابة ليستطيع التعبير عما يجول في ذاكرته، ويعتمل في صدره، لذا نراه يخاطب نفسه عبر حوار داخلي «عليك أن تختار ما هو أقرب الى نفسك، وتجلس لتكتب دون قيود كل ما يدور في ذهنك، ولا تهم نوعية تلك الكتابة ولا مستواها الأدبي، المهم الكتابة في حد ذاتها كوسيلة تفريغ، وأداة ترميم داخلي»[٧٩]، وهو يؤكد على الحط من قدر تلك القواعد والمقاييس، فلا مقياس الا الألم وإدهاش الحبيبة

«اؤكد لهم مسبقا جهلي، واحتقاري لمقاييسهم. فلا مقياس عندي سوى الألم، ولا طموح لي سوى أن أدهشك أنت، وأن أبكيك أنت، لحظة تنتهين من قراءة هذا الكتاب..»[٨٠]، وهذا التمرد جعل البطل يعيب كل كتابة لا تهتم بجوهر المعاناة في الوقت الذي تصب كل اهتمامها في شكل المكتوب، «هناك صحف يجب أن تغسل يديك إن تصفحتها، وإن كان ليس للسبب نفسه كل مرة، فهنالك واحدة تترك حبرها عليك.. وأخرى أكثر تألقا تنقل عفونتها إليك.. عناوين كبرى.. كثير من الحبر

الأسود. كثير من الدم، وقليل من الحياء، وهناك جرائد تبيعك نفس صور الصفحة الأولى.. ببدلة جديدة كل مرة.

هناك جرائد.. تبيعك نفس الأكاذيب بطريقة أقل ذكاء كل مرة وهناك أخرى، تبيعك تذكرة للهروب من الوطن..لا غير ومادام ذلك لم يعد ممكنا، فلأغلق الجريدة إذن..ولأذهب لغسل يدي»[٨١]

ليس الخوف من قواعد الكتابة وحده من أقلق البطل ولكن، أن يبدأ البطل في الكتابة بعد الخمسين من عمره فمعنى ذلك أن هذه الكتابة لن تأتي بالمستوى الذي يرضاه المتلقي لاسيما إن كان المتلقي هي حبيبته(حياة) التي امتهنت الكتابة منذ زمن بعيد، « الكتابة ما بعد الخمسين لأول مرة.. شيء شهواني وجنوني شبيه بعودة المراهقة.. سأعتبر إذن ما كتبته حتى الآن، مجرد استعداد للكتابة فقط، وفائض شهوة.. لهذه الأوراق التي حلمت منذ سنين بملئها»[٨٢]، هو احساس بالشيخوخة تفتح ابوابها لا لتستقبله وحده وإنما لتستقبل بلدا كاملا، بعدما بدأ اليأس يمد إليه أذرعه الطويلة، « تراني انا الذي أدخل الشيخوخة..أم ترى الوطن بأكمله هو الذي يدخل اليوم سن اليأس الجماعي؟»[٨٣]، هو قلق ينبني على اعتراف خطير وإحساس مؤلم، بأنه ــ البطل ــ قد تأخر كثيرا في كتاباته، «لا أصعب أن تبدأ الكتابة، في العمر الذي يكون فيه الآخرون قد انتهوا من قول كل شيء»[٨٤].

لقد جاء قلق البطل من الكتابة لكونه قد تأخر كثيرا في ممارستها، وهو الآن يخشى أنه يكتب في زمن غير زمنه، مثلما جاء حبه بعد زمن طويل، مع امرأة لا تساويه في العمر ولا في الأفكار فما كانت نتيجته الا الفشل.

سبب آخر جعل البطل يخاف من الكتابة ويقلق منها، وهو القلق من الكتابة أمام منافس شرس يمتهن الكتابة منذ زمن بعيد وقد تفوق بها، وتمثل هذا المنافس أمام البطل في شخصيتين(شخصية صديقه زياد الشاعر، وشخصية حبيبته حياة الكاتبة)، أراد أن يكتب لحبيبته بعدما

فتحت الغيرة نوافذها أمامه، وأحس أن حياة بدأت تفضل زياد عليه لأنه شاعر يجيد التلاعب بالكلمات، حاول أن يكتب ليبين أنه مثل زياد قادر على الكتابة الجميلة واختيار الجمل الرقيقة، لكن السؤال الذي أرقه كثيرا هل هو قادر فعلا على مجاراة زياد في كتاباته، يقول خالد مخاطبا حياة «كان لابد أن أكتبها لك قبل أن يتسلل زياد إليك من كل المسام ليصبح لغتك. فهل تفيد رسائل الحب عندما تأتي متأخرة عن الحب؟»[٨٥]، لكنه يعترف بفشله «الواقع أن الحب لا يكرر نفسه كل مرة، وأن الرسامين لا يهزمون الشعراء دائما.. حتى عندما يحاولون التنكر في ثياب الكلمات»[٨٦]، ويعترف أن الكتابة ليست مهنته وإنما الرسم، والرسامون لا يحترفون الا الجنون، «أعتقد أن مثل هذا الجنون ينفرد به الرسامون. ولا أظن أن شاعرا يمكن أن يصل ما وصل إليه فان غوغ مثلا في لحظة يأس واحتقار للعالم، عندما قطع أذنه ليهديها إلى غانية»[٨٧]..

التحدي الثاني كان أمام حبيبته حياة، وهي كاتبة احترفت القص والكتابة،» كل شيء يستفزني الليلة.. وأشعر أنني قد أكتب أخيرا شيئا مدهشا، لن أمزقه كالعادة»[٨٨]، فهل تراه ينجح في التغلب عليها في كتابة قصته معها، مستخدما الأساليب التي استخدمتها، وقد تعلم منها أن القصص تقتل أبطالها، «اعترفت لك فيما بعد، أن علاقتي بك قد تغيرت منذ قرأتك وأنني أشك في أن أكون قادرا على الصمود بعد اليوم..فأنا لم أكن مهيأ لسلاح الكلمات..»[٨٩]، وهذا التحدي لا يستمر طويلا فسرعان ما يقرر البطل التوقف عن الكتابة، «ها هو كتابك أمامي.. لم يعد بإمكاني اليوم أن أقرأه، فتركته هنا على طاولتي مغلقا كلغز، يتربص بي كقنبلة موقوتة، استعين بحضوره الصامت لتفجير منجم الكلمات داخلي .. واستفزاز الذاكرة. وأقول وأنا أضع عليه حزمة من الأوراق التي سودتها في لحظة هذيان.. وحان لك أن تكتب.. أو تصمت إلى الأبد أيها الرجل، فما أعجب أن يحدث هذه الأيام... وفجأة يحسم البرد الموقف،

ويزحف ليل قسنطينة نحوي من نافذة للوحشة، فأعيد للقلم غطاءه، وأنزلق بدوري تحت غطاء الوحدة»[٩٠]، ومع مغريات الكتابة التي يبحث عنها القاص والشاعر، إلا أن قلق الكاتب من الكتابة ما زال يحاصره ويغلق عليه النوافذ، «ها هي الكلمات التي حرمت منها، عارية كما أردتها، موجعة كما أردتها، فلم رعشة الخوف تشلُّ يدي، وتمنعني من الكتابة؟»[٩١].

سبب أخير جعل البطل يخاف من الكتابة، وهو يرى أن لغته العربية التي هي لغة بلده قد تغيرت، وأصبح يتحدث بلغة أخرى هي اللغة الفرنسية، فكيف يستطيع الكتابة بلغة قد هجرها منذ زمن، وهل سينجح إذا ما كتب بلغته الجديدة؟، وهو يعلم سطوة اللغة العربية ومكانتها، وأنه حينها سيعد خائنا لبلده «كان ذلك شرفهم، أولئك الذين راهن البعض على خيانتهم، فقط لأنهم اختاروا الثانويات والثقافة الفرنسية، في مدينة لا يمكن لأحد فيها أن يتجاهل سلطة اللغة العربية، وهيبتها في القلوب والذاكرة»[٩٢].

وهو يعلم جيدا «اننا ننتمي إلى أمة لا تحترم مبدعيها وإذا فقدنا غرورنا أو كبرياءنا، ستدوسنا أقدام الأميين والجهلة»[٩٣].

إن البطل في رواية ذاكرة الجسد خائف، قلق من الكتابة، مع أنه مضطر لها لكي ينهي عذاب زمن عاشه، وذاق خيبته، زمن أعطى فيه الكثير لبلده ولحبيبته في لحظة خيل إليه أنه قد امتلكهما معا، لكنه يصحو على واقع مر، خسر فيه كل شيء، فكان عليه أن يكتب ولكن بطريقة خاصة تختلف عن الكتاب الآخرين، «أريد أن أكتب عنك في العتمة، قصتي معك شريط مصور أخاف أن يحرقه الضوء ويلغيه، لأنك امرأة نبتت في دهاليزي السرية....لا بد أن أكتب عنك، بعد أن أسدل كل الستائر، وأغلق نوافذ غرفتي»[٩٤]. ومع ذلك القلق إلا أنه وجد شيئا من السعادة، لأنه تمكن أخيرا أن يكتب، «ورغم ذلك.. يسعدني في هذه اللحظة منظر الأوراق المكدسة أمامي، والتي ملأتها البارحة، في ليلة نذرتها

للجنون، فقد أهديها لك مغلفة بصورة مهذبة في كتاب»[٩٥]، مع أنها سعادة مغلفة بالشك والارتياب، والخوف من النتائج التي لا يتوقعها أن تكون أفضل حالا من الفشل الذي لحقه في حياته.

الخاتمة:

الحمد لله على تمام نعمته وحسن توفيقه والصلاة والسلام على سيد خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد انبنى البحث على سؤال مهم، هل يقلق الكاتب عند كتاباته ومتى يكون ذلك القلق؟، ولكي يتسم البحث بالجدة والابتكار جعلنا العينة التي شملناها بالبحث شخصية من شخصيات الرواية، وهي الشخصية الرئيسة، وقد وجدنا:

١ ـ أن هناك قلقا حاصلا من ظروف ألمت بالبطل، وأن هذا القلق تجسيد لحالة نفسية جاءت بسبب فشل البطل في إقامة علاقة حب سليمة مع الشخصية الثانية في الرواية(البطلة)، مما ولد حالة من الارتباك لدى البطل الذى عانى الكبت والحرمان.

٢ ـ كما حصل القلق بسبب الماضي وترسباته، وما حمله من ذكريات مؤلمة احتارت في معالجتها ذاكرة البطل في أن يحتفظ بها أو يقتلها بالكتابة عنها، مؤكدا على أن الكتابة سبب في قتل الماضي وتعريته أمام الآخرين.

٣ ـ والخوف من الفشل سبب آخر من أسباب القلق، إذ تعتري البطل هواجس أن لا تكون كتاباته ضمن مقاييس النجاح والتفوق التي وضعها النقاد للكتاب الناجحة، مع أن ذلك قد يقف عائقا أمام ابتكار الأساليب الجديدة للكتابة.

٤ ـ لقد حملت رواية ذاكرة الجسد في متنها حالة من الارباك والقلق في عموم مفاصلها، حتى وصفت من قبل الشاعر الكبير نزار قباني بأنها رواية مجنونة، حوت كل المتناقضات والمتغيرات.

٥ ـ السؤال المهم هل كانت الرواية تتجاوز فكر البطل الى فكر كاتبها؟، لا سيما إذا علمنا أن الراوية أحلام مستغانمي قد تأثرت بفكر والدها

الرجل الثوري الذي ناضل ضد الاستعمار وكان يطمح الى التغيير في بلده، وقد شهد حالة الإرباك والفوضى في الحياة العادية لبلده، وسبب تلك الفوضى، أن المجتمع الجزائري بات يتقمص شخصيتين، شخصية المواطن الجزائري البسيط والمحافظ على تقاليده والآخر الذي أراد التحرر من قيود الماضي والتوجه نحو التحرر، وبين هاتين الشخصيتين تظهر لنا شخصية ثالثة تعنى بالانتهازيين والنفعيين الذين يتغيرون مع كل تغير يحصل في البلد لمنافع شخصية لا علاقة لها بمصلحة البلد.

٦ ـ قد تفتح هذه الدراسة الباب أمام دراسات مشابهة في روايات أخرى.

وختاما فلله الحمد من قبل ومن بعد على منه وفضله

الهوامش:

١ ـ معجم الروائيين العرب، سمر روحي الفيصل: ٢٢

٢ ـ ينظر: مصادر الأدب النسائي في العالم العربي الحديث، جوزيف زيدان: ٧١٧

٣ ـ ينظر: (احلام مستغانمي(سيرة حياة)، مراد مستغانمي، مجلة الاختلاف، العدد ٣، أيار، ٢٠٠٣، ٢٢

٤ ـ وكبيديا الموسوعة الحرة

.Wiki/ Wikipedia.org ar.m

٥ ـ المنهج النفسي في قراءة النصوص، عبد الله حسن القرني، صحيفة عكاظ، ٢٠١٧/٥/١٢ www.okaz.com.sa

٦ ـ ينظر: الابداع في الفن والعلم، حسن أحمد عيسى، ٦٣

٧ ـ م . ن : ٦٩

٨ ـ م . ن: ٦٨

٩ ـ ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٩٨٦، ٣٢٣، وينظر: ومقاييس اللغة،أحمد بن فارس، ج٢٣،٥، والصحاح، الجوهري: ١٥٤٨

١٠ ـ ينظر: مرض القلق، دافيد شيهان : ١٣

١١ ـ ينظر: الكف والعرض والقلق، سيجموند فرويد: ١٠٦

١٢ ـ ينظر، م . ن : ١٠٩

١٣ ـ ينظر، الكف والعرض والقلق، سيجموند فرويد: ١١٤

١٤ ـ ينظر: م . ن : ١١٦

١٥ ـ ينظر: م. ن : ١٣١

١٦ ـ م. ن : ١٤٨

١٧ ـ ينظر: قلق الكتابة، الحسن علاج، https://darfikr.com/node/٢٠٤٣

١٨ ـ الاسترخاء النفسي والعصبي، دافيد هارولينددفنك : ١٢٤.

١٩ ـ الطب النفسي المعاصر، أحمد عكاشة : ١٣٤

٢٠ ـ القلق، ديفيد استيهان: ١٤

٢١ ـ ينظر: لسان العرب، ابن منظور : ٨٢٠ ـ ٨٢٢

٢٢ ـ ينظر: المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ :٢٧٠

٢٣ ـ ينظر: المتقن، إعداد د. هزار راتب وآخرون: ٥٥٩

٢٤ ـ أسئلة الكتابة، موريس بلانشو : ٣٩

٢٥ ـ م . ن : ٤٠ ـ ٤١

٢٦ ـ قلق الكتابة الإبداعية، https://alay.ckj/am/p١

٢٧ـقلق الكتابة، الحسن علاج، https://darfikr.com/node/٢٠٤٣

٢٨ ـ م . ن

٢٩ ـ قلق الكتابة الإبداعية، https://alay.ckj/am/p١

٣٠ـم . ن، ٤١

٣١ ـ قلق الكتابة، الحسن علاج: https://darfikr.com/node/٢٠٤٣

٣٢ـم . ن

٣٣ـ قلق الكتابة، تأملات نقدية في الكتابة الأدبية، محمد رمصيص : ٧.

٣٤ـ م . ن : ٧

٣٥ـ ذاكرة الجسد، أحلام مستغانمي: ٦٠ ــ ٦١

٣٦ ـ م. ن : ٩

٣٧ ـ م . ن : ١٨

٣٨ ـ ذاكرة الجسد : ٦

٣٩ ـ م . ن :١١

٤٠ ـ م . ن: ٢٧٣

٤١ ـ م . ن : ٧

٤٢ – م. ن : ١٥

٤٣ ـ م . ن : ١١

٤٤ ـ م. ن :١٦

٤٥ ـ م. ن: ١٦

٤٦ ـ ذاكرة الجسد : ١٥

٤٧ ـ م. ن : ٤٨

٤٨ ـ م. ن: ٤٤

٤٩ ـ م. ن: ٤٨

٥٠ ـ م . ن: ٨ـ٩

٥١ ـ م . ن :١٠

٥٢ ـ م .ن : ٢٠٣

٥٣ ـ م . ن : ٢١٨

٥٤ ـ ذاكرة الجسد: ٢١٩

٥٥ ـ م . ن :١٦٠

٥٦ ـ م. ن: ١٢٣

٥٧ ـ م .ن: ١٨٣

٥٨ ـ م . ن : ٣٦٨

٥٩ ـ م. ن : ٣٩٩

٦٠ ـ م . ن : ٣٨٦

٦١ ـ ذاكرة الجسد : ٨

٦٢ ـ م . ن :١٨

٦٣ ـ م . ن : ٩

٦٤ ـ ذاكرة الجسد : ٤١

٦٥ ـ م . ن : ٤٤

٦٦ ـ م . ن : ١٤

٦٧ـ م . ن : ٢٤
٦٨ـ م. ن : ٢٠٠
٦٩ـ م . ن : ١٥٢
٧٠ـ م . ن : ٣١٧
٧١ـ ذاكرة الجسد: ١٢٥
٧٢ـ م . ن : ١٣٩
٧٣ـ م . ن : ٢٧٨
٧٤ـ م. ن : ٢٨٢
٧٥ـ م . ن : ٣٢٦
٧٦ـ ذاكرة الجسد : ٣٧٩
٧٧ـ م . ن : ٤٠٢
٧٨ـ قلق الكتابة، تأملات نقدية في الكتابة الأدبية، ٨.
٧٩ـ ذاكرة الجسد: ٦٠ ـ ٦١
٨٠ـ م . ن : ٣٨٦
٨١ـ م . ن : ١٥
٨٢ـ م . ن : ٢٠
٨٣ـ ذاكرة الجسد : ٢٢
٨٤ـ م . ن : ٢٣
٨٥ـ م . ن : ٢١٩
٨٦ـ م . ن : ٢١٩
٨٧ـ م . ن : ١٤٣
٨٨ـ م . ن : ٢٤
٨٩ـ م . ن : ١٢٧
٩٠ـ ذاكرة الجسد : ٢١
٩١ـ م . ن : ١٠
٩٢ـ م . ن : ٣١
٩٣ـ م . ن : ١٨١
٩٤ـ م . ن : ٤١
٩٥ـ ذاكرة الجسد : ٤١

المصادر والمراجع:

- أسئلة الكتابة، موريس بلانشو، ترجمة نعيمة بنعبدالعالي وعبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ـ المغرب، ط١، ٢٠٠٤م
- الاسترخاء النفسي والعصبي، دافيد هارولينددفنك ، ترجمة: يوسف ميخائيل اسعد، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٧م
- ذاكرة الجسد، أحلام مستغانمي، دار الآداب ، بيروت ـــ لبنان، ط١٥، ٢٠٠٠م
- الصحاح العربية، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ـــ لبنان، ١٩٧٩م
- الطب النفسي المعاصر، أحمد عكاشة، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- القلق، ديفيد استيهان، ترجمة: عزت شعلان، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ، ١٩٨٩م
- قلق الكتابة، تأملات نقدية في الكتابة الأدبية، محمد رمصيص، تيفلت، منشورات المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، ٢٠١٨م.
- الكف والعرض والقلق، سيجموند فرويد، ترجمة: د. محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، القاهرة ـ مصر، ط٤، ١٩٨٩م.
- لسان العرب، ابن منظور، تحقيق، أحمد حيدر، المجلد ١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
- المتقن، إعداد د. هزار راتب وآخرون، دار الراتب الجامعية، بيروت ـ لبنان، (د.

ت)
• مرض القلق، دافيد شيهان، ترجمة :عزة شعلان، عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٨م.
• مصادر الأدب النسائي في العالم العربي الحديث، جوزيف زيدان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، (١٨٠٠ـ ١٩٩٩م).
• المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٤م.
• معجم الروائيين العرب، سمر روحي الفيصل، ط١، جروس برس، ١٩٩٥م
• معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، دار الفكر، تحقيق: عبد السلام هارون، ١٩٧٩م

الدوريات والمجلات:
• (احلام مستغانمي(سيرة حياة)، مراد مستغانمي، مجلة الاختلاف، دورية ثقافية، العدد ٣/ أيار/ ٢٠٠٣

الانترنيت :
• قلق الكتابة، الحسن علاج،
https://darfikr.com/node/2043
• قلق الكتابة الإبداعية،
https://alay.am/p/1ckj
• المنهج النفسي في قراءة النصوص، عبد الله حسن القرني، صحيفة عكاظ، ١٢/ ٥/ ٢٠١٧
www.okaz.com.sa
• وكبيديا الموسوعة الحرة
Wiki/ Wikipedia.org_ar.m.